الطنطاوي يعظ بعد موته

تعجبته من قولي أليس كذلك؟!

أما أنا فما تعجبت قط، وكيف لا يقدر مثل الأديب البارع الشيخ علي الطنطاوي – رحمه الله – أن يعظ بعد موته!

وقد وقفت على كلمات نشرت له قبل أربعين سنة كأنه يقولها الآن بعد أن تسامع الناس نبأ وفاته، وكثر التأسف عليه. وهذه هي كلماته:

«والثواب هو وحده الذي يبقى على حين يفنى الإعجاب، وتذهب الأموال، ويعود إلى التراب كل ما خرج من التراب.

ولدعوة واحدة لي بعد موتي من قارىء حاضر القلب مع الله، أجدى علي من مئة مقالة في رثائي، ومئة حفلة في تأبيني، لأن هذه الدعوة لي أنا، والمقالات والحفلات لكتابها وخطبائها، وليس للميت فيها شيء.

وأستغفر الله وأتوب إليه»

هل تصدق أن هذا الكلام يقوله الشيخ الأديب لنا في ٢١ من جمادى الآخرة ١٣٧٩هـ/ ٢٢ من كانون الأول ١٩٥٩م من دمشق يختم به مقدمة كتابه «من حديث النفس»؟!

إنه كلام الكبار حقاً، لا تبلى جدته مع الزمان، زاخر فوار بالعظات والمعارف لا يغيض!.

إنها عظة لنا نحن الذين دبَّجنا الأشعار في رثائه، وطوَّلنا المقالات في ذكر مآثره وأدبه، وأقمنا دعوات لتأبينه والإشادة ببيانه وأسلوبه الفذّ المتفرد.

حقاً إن ما ذكر إن خلا من الدعاء للشيخ ماذا يجني منه، وهل من طائل تحته؟!

إن ما قيل من شعر ونثر كان فيه إظهار بيان الشعراء والكتاب، ولربما كانت حظوظ، فقيل: فلان مقالته في الشيخ بليغة، وأسلوبه أخّاذ، والشاعر الفلاني كان أجود وأحسن من ألقى من الشعراء.

صدقت يا أيها الشيخ البليغ الملهم! دعوة واحدة لك بعد موتك من قلب حاضر أجدى عليك من المقالات والحفلات والخطب!

وماذا يبتغي كل مسلم كاتباً كان أو شاعراً، أو غير ذلك، ذكراً أو أنثى، صغيراً أو كبيراً، سيداً أو مسوداً، ماذا يبتغي كل واحد منا إلا رحمة الله ورضوانه.

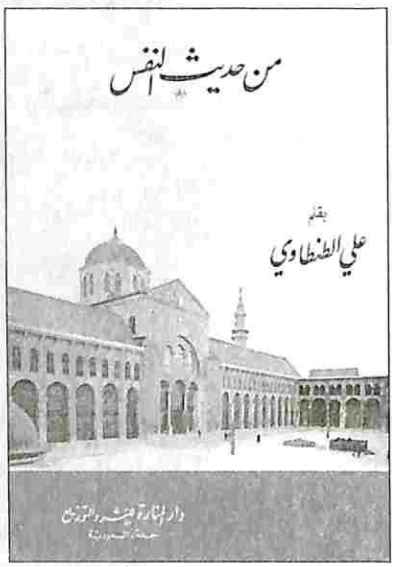

بقلم: محمد ياسر القضماني
الكويت

نحن من تراب وسنعود إلى التراب وسنبقى في برزخ حتى يقوم الناس لرب العالمين، فنفضي إلى الله بما قدمنا إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

ووالله ما نجعل سواداً في بياض إلا سيحاسبنا الله عليه، فيا أيها الكتاب ويا أيها الشعراء، اجعلوا نصب أعينكم رفعة دينكم، وإعزاز شريعتكم من وراء أدبكم بشتى صوره.

وأختم بكلمات موجزة من كلامه الرائق يعطينا فيها الأمل لنتأملها نحن الأدباء.

قال – رحمه الله –:

«الباطل إلى اضمحلال وإن كانت له جولة، والحق إلى ظفر وإن كانت له كبوة. وقد طالما بغى باغون وظلم ظالمون، ولكن لم يدم باغ ولا خلد ظالم «كتاب/ في سبيل الإصلاح».

حقاً هذا هو الأمل وهذا هو الرجاء ولكن لابد من العمل، فقد طال منا التسويف، وبدر منا العجز والتواكل.■